(أي الملك) « ان المدنيين مسلحون منذ وقت طويل »(١٦). فالواقع ان الحكومة الاردنية لم توزع الاسلحة الا على بضع مئات من المدنيين غير المدربين ، من بين مليون شخص في الضفة الغربيـــة . ومن اقسى الاتهامات التي تكـــال اليوم للمقاومة الفلسطينيـــة واكثرها تجنيا هي تلك التي تشير الى عجز المقاومة عن ارساء قواعد فعالة لها في الضفة الغربية المحتلة . وتناسى الناس قمع النظام الاردني لكل محاولة جـــرت منذ ١٩٤٨ لتسليح سكان البقية الباقية من فلسطين ، واعدادهم لمواجهة الغارات الاسرائيليـــة المتعددة ، بل والاهم من ذلك ، لاعدادهم للمقاومة المسلحة في حالة احتلال اسرائيل للضفة الغربية . ومع ان الحكومة الاردنية كانت دائما السباقة الى التخويف من خطط اسرائيل التوسعية ، الا انها لم تفعل شيئا على صعيد الاعداد الشعبي لمواجهة هذا الاحتمال الممكن جدا ، احتمال ان توسع اسرائيل اراضيها على حساب الاردن . بل بالعكس ، بذلت عمان قصارى جهودها لمنع السكان من الاستعداد للحرب . وهذا يعود بنا الى الموضع من كتاب « سقوط القدس » الذي تحدث فيه مؤلفه عن امكانية نشوء مقاومة ضارية للغزاة فيما لو سلح السكان ودربوا على حرب العصابات .

في عام ١٩٦٤ نشرت مذكرات الجنرال غريفاس(١٧)، بطل الثورة القبرصية، التي تضمنت الفقرة التالية : « ان اي بلاد تظن انها قد تتورط في حرب ، وعندما يتم التغلب على العقبة البسيكولوجية التي يبدو انها تمنع الحكومات من الاقرار بهذه الحقيقة ، فانه لامر سهل ان تختزن الدولة الاسلحة والمتفجرات سلفا ، وتعين الرجال الذين بمقدورهم ان يقودوا السكان ويحوزوا على ثقتهم . ويمكن تحقيق اشياء عظيمـــة بواسطة المواد القليلة كما برهنا على ذلك في قبرص . اما اذا كانت الموارد اللازمة متوفرة ، فالآفاق تصبح بدون حدود » . هذا الحديث الذي دونه واحد من اشهر قادة حروب التحرير في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، كان ينبغي ان يكون الالهام لقطر كالاردن ، يتهدده على الدوام عدو طامع يعد الخطط العدوانية منذ زمن بعيد . عندما تبوأ الملك حسين عرش الاردن قبل عشرين عاما ، وكان آنئذ شابا متحمسا ، اصطحبه الجنرال غلوب ، قائد جيشه وصاحب السلطة الفعلية في البلاد ، في جولة تفتيشية على طول حدود الاردن الطويلة مع اسرائيل ، ليبين له استحالة حراسة كل شبر من الحدود ضـــد الاعتداءات الصهيونية المتكررة . وطبعا لم يكن الجنرال الكهل ، خريج قتال الخنادق في الحرب العالمية الاولى ، من تلامذة ماوتسي تونغ وغياب ليؤمن بالمقاومة الشعبيـــة وحروب العصابات والانصار . فبقدر ما يتعلق الامر بذهنيته العسكرية الاتباعية ، كان الدفاع عن المملكة الاردنية الهاشمية منوطا بالجيش النظامـــي . فاذا كان الجيش ، باقرار الجميع ، وحتى باقرار قائده غلوب ، هو غير قادر وحده على صد اي هجوم اسرائيلي محتمل ، فهذه قسمته ونصيبه ، ولا يمكن تغيير ما هو مكتوب على الجبين . اما ان يؤمن غلوب بطاقات الشعب الذي انيطت به مهمة حمايته ، فيدربه على القتال، وينشىء منه وحدات كبيرة لتساند الجيش النظامي في حالة اندلاع الحرب ، فهذا بالنسبة للجنرال الامبريالي هو بمثابة هرطقة عسكرية لا يمكن ان تخطر ببال غير البلاشفة وغيرهم من المشاغبين واعداء المؤسسات القائمة .

قبل خمسة قرون من ميلاد المسيح ، كتب صـــن تسو(١٨) عن استراتيجية القوتـــين المتكاملتين في ساحة القتال ، فقال : « الجيش الذي يستطيع صد هجوم العدو دون ان يتعرض للهزيمة هو ذاك الذي يعتمد على قواته العادية وغير العادية . القوات التي تتصدى للعدو هي العادية ، اما التي تهدد جناحه فهي غير العادية ، ولا يوجد قائد جيش يستطيع جني ثمرة التفوق من يد العدو دون استخدام القوات غير العادية » . وكتكملة معاصرة لهذا المذهب في الاستراتيجية ، اضاف ماوتسي تونغ(١٩) يقول : عمليات المقاومة والقوة الرئيسية تكملان بعضهما بعضا ، كالذراع الأيمن والذراع الايسر للانسان (..)